خُطْبَةَ جُمُعَة مفرغةٍ

بِعِنْوَانِ

تنبيه الراغب على أهمية تصحيح المكاسب

لفضيلة الشيخ الناصح الأمين يحيى بن علي الحجوري حفظه الله

٢٧ جمادى الآخرة ١٤٤٤ هجرية

فرغها/ أبو عبد الله زياد المليكي

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أما بعد أيها الناس: إن الله عز وجل خلق العبد ليكتسب ولم يخلقه سدى كما قال عز من قائل:{ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (36) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ (37) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ (38) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (39) }[القيامة:36،39]

هكذا الله سبحانه وتعالى بث الخلق في هذا الوجود للاكتساب، وقد دل على ذلك حديث الحارث الأشعري رضى الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، والحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلأُ المِيزانَ، وسُبْحانَ اللَّهِ والحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلآنِ -أوْ تَمْلأُ- ما بيْنَ السَّمَواتِ والأرْضِ، والصَّلاةُ نُورٌ، والصَّدَقَةُ بُرْهانٌ، والصَّبْرُ ضِياءٌ، والقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ، أوْ عَلَيْكَ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبايِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُها، أوْ مُوبِقُها.أخرجه مسلم(223).

فأبان هذا الحديث أن الناس يكتسبون، وأن الله خلقهم للكسب، فمنهم من يكتسب كسباً صحيحاً، ومنهم من يكتسب كسباً سيئاً، وإلا فكلهم مكتسب، والشأن كله هو في تصحيح الاكتساب، فلو فتشت أيها العبد

أيها المسلم أيها الإنسان عن أسباب المصائب كل المصائب وجدتها بسوء المكاسب، فما من مصيبة في الدنيا والآخرة عليك أيها العبد إلا وهي من سوء الكسب، وما من خير عليك إلا وهو من حسن الكسب بعد فضل الله سبحانه وتعالى ورحمته وتوفيقه، صحح الاكتساب فيكون الله سبحانه وتعالى راضياً عنك، صحح الاكتساب على ضوء الكتاب،

صحح الاكتساب على هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطريقة الأصحاب عليهم رضوان الله، صحيح الاكتساب، فإن الله عز وجل قد قال في كتابه مبينا حال الناس وحال المغتصبين:{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (3)}[الإنسان:3].

فمنهم من يكتسب الشكر فيتعرض لذلك للذكر، ومنهم من يكتسب الكفر، هكذا حال الناس، فقال الله عز وجل:{وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا (29)}[الكهف:29].

أبان الله عز وجل في كتابه بعد أن ذكر وصية يعقوب لأبنائه:{أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (133)}[إبراهيم:133].

فلما ما كان هدفهم في كسبهم قال بعد ذلك :{تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (134)}[البقرة:134].

فكل له كسبه وعليه كسبه، إن كسب خيرا فله، وإن كسب شرا فله، وقال الله سبحانه وتعالى:{لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ}[البقرة:286].

هكذا حال الإنسان، ولا واحد من الناس يكسب عنك شيئا ويحمل من

كسبك شيئا، فإن الله قد قال:{وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا}[الأنعام:164].

يغفل بعض من يتدبر ويظن أن غشمه ومظالمه وبغيه وفتنته أن ذلك انتصار، وأنه إذا ظلم إذا نهب إذا فعل من الأفاعيل ما يؤلم خصمه في أي وسيلة من وسائل الظلم فإنه يعتبر ذلك أنه يعتبره انتصارا، ويعتبره قوة، وغير ذلك من التسويلات الشيطانية، وإنما هو كسبه، أي عمل يجنيه ويفعله هو كسبه له أو عليه، عليه ضرره وله نفعه إن كان نافعا: {وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ}[الأنعام:164].

قال الله سبحانه وتعالى :{فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِندَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ۖ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (198) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (199) فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (200)}[البقرة:198،200].

يريد كسبا محدودا فقط، كسب دنيوي لا تطلع له ولا مقاصد له إلى مكسب أعظم يشمل الدنيا والآخرة، وأثنى الله عز وجل على ذوا التصحيح على ذوا المكاسب الصحيحة، أهداف ومقاصد كلهم يكتسبون، لكن هذا يكتسب لدنياه وأخراه، وذاك فقط هدفه الدنيا: {وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (201)أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (202)}

فأثنى الله عز وجل على ذوي المكاسب الصحيحة، مقاصد هذا يكتسب وهذا يكتسب، هذا يعيش وهذا يعيش، هذا يرزق هذا يرزق، لكن هذا له همة عالية له مقصد نبيل، إلى مكاسب أوسع إلى مكاسب عامة، إلى مكاسب دائمة، وهذا يريد كسبا محدودا، {فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ (200)وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (201)أُولَٰئِكَ لَهُمْ

نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ}

نصيب في دنياهم بسبب كسبهم الطيب ودعائهم الصالح ونيتهم الطيبة الصحيحة، صححوا النوايا، صححوا المقاصد المكاسب منها استفادوا في دنياهم وأخراهم حتى صاروا هم أريح الناس وأسعد الناس في الدنيا والأخرى، تصحيح، ولهذا من جعل الآخرة نيته جمع الله عليه شمله، صحح وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة، يسيرها الله، إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، صحح المقصد يريد كسب، هو يريد يأكل، هو يريد يشرب، هو يريد يسكن هو يريد يكون له ولد وأهل بيت؟ لا شك ولكن صحح الاكتساب على طريقه الشرعي، وقد تكفل الله عز وجل به ويسوقه له على أعماله الصالحة، على أحسن الحال، فهكذا:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ (23) ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (25) }[آل عمران:23،25].

إذا تستفيد من هذا أن هؤلاء خدعوا بسبب عدم التصحيح للنوايا

والمقاصد خدعوا، وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون، الفِراء والأكاذيب على النفوس والمغالطات هذا لعب عليهم الشيطان، طيب ما النتيجة ؟ {فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ} كل نفس توفى كسبها{ فهم لا يظلمون} لا صغيرة ولا كبيرة ،{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا (49)}[الكهف:49].

رب العزة يقول :{وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (161) }[آل عمران:161].

هذا تنبيه على أنه هذا الغلو كسبه فيظن أنه يكتسب ويستفيد مال ولكن انظر إلى النتيجة يأتي به على أسوء حال، منهم من يأتي ببعير يحمله أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر، هذا يحمل نعال، هذا يحمل كذا، فغدرته عند استه فضيحة بسبب الكسب، من تغالط ممن ستختفي؟ {وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ (3)}[الأنعام:3].

قال الله:{أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (5)}[هود :5].

قال الله:{الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (65)}[يس:65]. ممن تستخفي، ممن تستر؟ راقب الله يا أيها العبد راقب الله فإنك تكتسب على نفسك لا محالة لها أم عليها، ممن تستخفي،{ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (19) حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم} شهودك منك ، الشهود منك ما عاد يحتاج إلى مزيد، وكان الله لكل شيء محيطا، { وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ (10) كِرَامًا كَاتِبِينَ (11) يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ (12)}[الإنفطار:10،12].

ومع ذلك الشهود منك {شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (20)وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (21)وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ (22)وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ (23)}[فصلت:20،23].

صحح الاكتساب يا عبد الله، افزع بمراقبة رب العالمين، أين تذهب؟ فاين تذهبون؟ قال الله سبحانه :{وَمَن يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا (110)وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا (111)وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا

ثُمّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا (112)}[النساء:110،112].

الناس على أحوال في هذا، كله راجع عليه، ولكن إذا اكتسب الإثم ثم رجم بإثمه فوق آخر قال هذا عمله فلان، هذا زاد مع الإثم أيضا بهتان، أن يكتسب الإثم هو ثم يرم به البراء النزهاء فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا،{وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا} أي يرم به إنسانا بريئا من ذلك الإثم، انظر إلى ما قال الله عز وجل{إِنّ الّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مّنكُمْ ۚ لَا تحْسَبُوهُ شَرًّا لّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لّكُمْ ۚ لِكُلّ امْرِئٍ مّنْهُم مّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ ۚ}[النور:11].

كسب في هذه الدنيا، هذا موطن مكسب، هنا الدنيا محل اكتساب الله خلقك تكتسب، ما خلقك سدى، تكتسب لكن صحح، انظر إلى هؤلاء الذين اكتسبوا بهتانا وإثما مبينا،{إِنّ الّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مّنكُمْ ۚ لَا تحْسَبُوهُ شَرًّا لّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لّكُمْ ۚ}

خير لكم أيها النبي، خير لكم أيها الصحابة، خير لكم، خير لك أم المؤمنين، خير لك يا أبا بكر يا عمر يا سائر المؤمنين خير لكم، حتى وإن كانوا رميتوا وأذويتم وتكلم فيكم خير لكم، لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم، فهؤلاء أوذو وذلو لكان خير لهم، والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم، إن أمر الاكتساب النفوس فيه مرهونة، ما من نفس إلا وهي مرتهنة بما كسبت، النفوس فكاكها خيرها حياتها موتها كل ذلك مرتهن بالكسب، الله يقول في كتابه:{ كل نفس بما كسبت رهينة} كل نفس، أي نفس هي مرتهنة بكسبها، أي نفس هي مسجونة بكسبها، إن كانت خيرا فك سجنها، وإن كان شرا شدد سجنها،{كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مّا كَانُوا يَكْسِبُونَ (14)}[المطففين :14].

القلوب أيضا بالكسب حياتها وموتها صحتها ومرضها بالكسب، فإن كسب خير على القلب سلم ونقى وابيض، وإن اكتسب الإنسان شرورا وفسادا في نظره أنه بذلك يكتسب أموالا أنه بذلك يأخذ، أنه بذلك يسعد غالطت نفسك، خدعك الشيطان كما سبق، النفوس مرهونة بما

كسبت، والله سبحانه وتعالى قد أبانا أن أمما هلكوا بكسبهم،{فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (40)}[العنكبوت:40].

رب العزة يقول :{وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ} أين كان الإثم خافي أو ظاهر، هناك آثام خافية باطنة يكتسبه الإنسان يظن أنها ما تفضح، اتركه لن يخفى على الله من ذلك شيء،{وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ (120)}[الأنعام:120].

الخطبة الثانية:

الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الهداه، صلاة وسلاما دائمين متلازمين فإلى يوم لقاه.

أيها الناس: إن أمر الاكتساب والله ما فسدت المعايش والله ما فسدت الأرزاق ولا فسدت الحياة إلا بسببه، منذ خلق الله الخليقة إلى قيام الساعة، فواجب على الناس تصحيح الاكتساب سواء كان اكتساب المال، اكتساب الجاه، اكتساب المنصب، اكتساب الأوقات الاخلاق، اكتساب الدنيا والآخرة، أنت ما أنت ممنوع عن الاكتساب لكن صحح، {ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ} وكلكم يرى ويسمع ويلحظ ويأن ويتألم إن كان فيه روح أو ألقى السمع وهو شهيد، نعم ما يندى له الجبين مما هو بسوء اكتساب الناس، ظهر الفساد فساد المعايش، فساد الأرزاق، فساد الصحة، فساد الأوقات، فساد الحياة، فساد الأمن، ووالله فساد عظيم في الحياة فإذا فسد ما الحياة قيمة، هكذا فساد في العقائد، تفسد عقائد الناس فتفسد قلوبهم، ويفسد حياتهم، فساد بشتى أنواعه، كل ذلك بكسب الناس، فإن هذا الكسب إذا لم يصحح على كتاب الله وسنة رسوله ما زال يتمادى الفساد في الناس في جميع أحوالهم، حتى يمر الرجل بقبر الرجل يقول: يا ليتني مكانه، لا تظن هذا ظن غير صحيح أنك إذا زدت فسادا وهذا زاد فسادا وهذا ربا بالقتل وهذا ربا بالظلم وهذا البطش وهذا ربا بالضرائب والمكوس، ما هو صحيح أقول لك غلطان صحح، فإن الله عز وجل لن يزيد الأمة أنت أو غيرك بكسبهم السيء إلا سواء إلا أن يتداركه الله برحمة، {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ}[فاطر:45].

والله لولا رحمته أنه ما بقي على وجه الأرض من دابة بسبب سوء المكاسب عند الناس، الله خلقهم ليعبدوه، ليطيعوه، ليقيموا دينه وشرعه، ولكن الله حليم، ولكن الله لطيف، ولكن الله رحيم، ويمهل ولا

يهمل، إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته،{وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ (102)}[هود:102].

ما يتركك، فساد عريض في المكاسب، ولهذا انظر إلى الذين ساء مكاسبهم أعمالهم راحت هباء كما قال الله سبحانه وتعالى:{مَّثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ}[إبراهيم:18].

ولا يستفيد الوالد من ولده، ولا من ماله، ولا من منصبه، ولا من جاهه، ولا عمره، ولا من قلبه، ولا من حياته، ولا من جوارحه، {فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ}ما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ما أغنت عنهم هذا الجوارح{إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (26)}[الأحقاف :26].

ولما لم يفهموا ما خلقوا من أجله هو أن نكتسب خيرا، اكسب لكن اكسب خيرا، وربنا سبحانه وتعالى قد جعل للعباد الآلات ووسائل يكتسبون بها:{إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36)}[الإسراء:36]

كلها تكتسب، السمع يكتسب، البصر يكتسب، اليد تكتسب، الرجل تكتسب، كلها تكتسب، وفي حديث ابن مسعود رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كتب على ابنِ آدمَ حظُّه من الزنا فهو مدركٌ ذلك لا محالةَ ، فالعينانِ تزنيانِ وزناهما النظرُ ، والأذنانِ تزنيانِ وزناهما السمعُ ، واليدان تزنيان وزناهُما البطشُ ، والرِّجلانِ تزنيانِ وزناهُما المشيُ ، والقلبُ يتمنى ويشتهي ، والفرجُ يصدقُ ذلك أو يكذبُه.

كلها تكتسب، فالإنسان مكتسب لا محالة، فإما أن يوفق لتصحيح الاكتساب ولاتباع الكتاب ولهدي رب الأرباب، وإما أن يكون ممن كسبه حجة عليه لا له يوم القيامة، ألا يا عباد الله فإن هذه حياة ما بعدها حياة اكتساب والله، "يَتْبَعُ الميِّتَ ثلاثةٌ، فيَرْجِعُ اثنانِ ويَبْقَى معهُ واحِدٌ: يَتْبَعُهُ أهْلُهُ ومالُهُ وعَمَلُهُ، فيَرْجِعُ أهْلُهُ ومالُهُ، ويَبْقَى عَمَلُهُ.

أين كان العمل هذا، وعملك ببقى معك الصالح، إن كان صالحا فهو رفيقك في القبر، كسبك في القبر، ثمرتك، نتيجة عملك الصالح بعد توفيق الله، وبرحمته معك عند الموت ،معك في القبر، معك على الصراط، {يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (12)}[الحديد:12]. بشراكم.

وقال الله سبحانه وتعالى مبينا أن {هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (19)إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (20)فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (21) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (22) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (23) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (24) }[الحاقة:19،24].

أيام مضت أنتم كسبتم فيها خيرا هناك النتيجة، ما بعد هذا كسب، لا تخسر نفسك{قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (15)لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (16)} [الزمر:15،16].

أسأل الله عز وجل أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه، ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، والحمد لله رب العالمين.